الثقافة القرآنية وأثره في بناء الشخصية الإنسانية شعراء العصر الأموي أنموذجاً

Qur'anic culture and its impact on building the human personality Poets of the Umayyad era as a model

الباحث

م. م. سلمى رحيم شعلان

شعبة الشؤون العلمية/ كلية العلوم الإسلامية/ الجامعة العراقية

The researcher

Asst. lect. Salma Rahim Shaalan

section of Scientific Affairs / Aliraqia University

المشاركة في مؤتمر كلية العلوم الاسلامية

البناء الحضاري والمعرفي واثره في رصانة الشخصية العلمية

Participation in the College of Islamic Sciences conference

Cultural and cognitive construction and its impact on the sobriety of the scientific personality

College of Islamic Sciences / Aliraqia university

Qur'anic culture and its impact on building the human personality Poets of the Umayyad era as a model

salma.r.shaalan@aliraqia.edu.iq

Abstract:

Praise be to God, Lord of the worlds, abundant praise, and may blessings and peace be upon the trustworthy Chosen One, the Prophet of Mercy, and the savior of humanity from misguidance, with the wisdom he has been given, and upon his good and pure family and upon his righteous and chosen companions, those of virtue and the straight path.

The Holy Qur'an, thanks to its eloquence and eloquence with which it challenged the Arabs, was and still is a sacred text and a miraculous source that brought about an artistic revolution in most of the expressions that the Arab mind created in poetry and prose. Accordingly, we find that poets relied on the Holy Qur'an in their poetic texts, as they sought to upgrade their linguistic and intellectual dimensions through… Its noble verses and meanings; Because it is the strongest handhold to which they cling.

This research came to examine the texts of the poets of the Umayyad era, read them, and interrogate them to clarify the absent text behind them, which is represented in the Holy Qur'an, which poets were able, through reference or suggestion, to employ its meanings in those texts to form the features of the human personality, and to consolidate human moral values and meanings, through two topics: the first. It was titled: The impact of the Qur'anic text on poetry and poets, and the second was titled: The effect of the Qur'anic text in consolidating human meanings in the Umayyad poetic text. The research concluded with the most important results of the study with a list of the most important sources and references.

Keywords: Qur'anic culture, human personality, Umayyad era.

ملخص

الحمد لله ربّ العالمين حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين نبيّ الرحمة، ومنقذ الإنسانية من الضلال، بما أُوتي من الحكمة، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الأبرار المنتجبين، أولي الفضل، والصراط المستقيم.

كان وما يزال القرآن الكريم بفضل فصاحته وبلاغته التي تحدى بهما العرب , نصاً مقدساً , ومصدراً أعجازياً أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العقل العربي شعراً ونثراً , وعلى هذا نجد الشعراء اعتمدوا في نصوصهم الشعرية القرآن الكريم , إذ سعوا لترقية أبعادهم اللغوية والفكرية من خلال آياته الكريمة ومعانيه ؛ لأنه العروة الوثقى التي يتمسكون بها.

وقد جاء هذا البحث للوقوف عند نصوص شعراء العصر الاموي وقراءتها واستنطاقها لبيان النص الغائب وراءها والمتمثل في القرآن الكريم , الذي استطاع الشعراء من خلال الاشارة أو الإيحاء إلى توظيف معانيه في تلك النصوص لتشكل ملامح الشخصية الانسانية , وترسيخ القيم والمعاني الخلقية الانسانية , عبر مبحثين : الأول جاء بعنوان : أثر النص القرآني في الشعر والشعراء, والثاني جاء بعنوان : أثر النص القرآني في ترسيخ المعاني الانسانية في النص الشعري الاموي , وختمت البحث بأهم نتائج الدراسة مع قائمة بأهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية : الثقافة القرآنية, الشخصية الانسانية, العصر الاموي.

المبحث الأول
أثر النص القرآني في الشعر و الشعراء

قبل البدء ببيان أثر النص القرآني في الشعر والشعراء، علينا بيان مفهوم الثقافة القرآنية، ونقصد بلفظة الثقافة مجموعة الاعتقادات والقيم والسلوكيات التي يؤمن بها شخص ما, فالقرآن هو لدستور الإلهي الذي أنزله الحق تعالى لهداية البشر وسعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة. وفي ضوء ذلك فان المقصود بالثقافة القرآنية هي الاعتقادات والقيم التي احتواها الدستور الإلهي وهو القرآن الكريم، فقد كان القرآن الكريم محوراً للثقافة الإسلامية وسائر الحركات الفكرية والنشاطات العقلية ، قال تعالى في كتابه العزيز {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}.

انَّ ارتقاء الفن يقترن بقدرة الشاعر بما يمتلكهُ من وعيٍ يتجاوز حدودَ الذات على توظيف إمكانيات اللغة التعبيريَّة، عن طريق استحضار أو تحميل النص المنتَج بحُمولاتهِ الثقافية والدينيّة، موظفاً ذلك الحضور في تشكيل النص واغنائه بأنماطٍ مُتعدّدِة ومُتنوّعة، وقادرة على تمثيل الرُؤية التي يبتغيها الشاعر، وقد شكل القرآن الكريم منبعاً ثقافياً ودينياً حتى تبوأت سيادته جميع حقول الثقافة المعرفية ؛ ذلك أنّه الاساس الذي تقوم عليه سُنَن التشريع الاسلامي ؛ إذْ مثّل كل تعاليم الرسالة السماوية وأبان عنها خير بيان، عبر فصاحته حيناً أو اعجازه حينا آخر، حتى انّه تميز بكماله « في التناسق، والاتساق، فمن نظم فصيح، إلى سردٍ عذبٍ، إلى معنى مترابط إلى نسق متسلسل، إلى لفظٍ معبر، إلى تصوير مشخص، إلى تخييل مجسم، إلى موسيقى منغمة، إلى اتساق في الاجزاء، إلى تناسق في الاطار، إلى توافق في الموسيقى، إلى تفنن في الاخراج «، وبذلك له الفضل على اللغة العربية من خلال بقائها وتطورها في الوقت الذي درست اخواتها من اللغات، وحفظ اصولها، ومنحها الوان من العلوم والفنون، والمعارف ، فقد اكسب القرآن الكريم «الالفاظ العربية معاني ومدلولات رائعة يُمكن ان تفهم مجتمعة في الآية الواحدة، أو تعبير واحد، فقد استعملها العرب تأثرا بأسلوب القرآن الكريم في أشعارهم وخطبهم ورسائلهم»، وكان من تأثير هذا الكتاب العظيم أن «حوَّل أدب اللغة العربية إلى عالمي يخوض في مشاكل الحياة والجماعة وينظم أمورها الدينية والدنيوية، فارتقى الأدب العربي رقيا لم يكُن يحلم به العربي واتسعت افاقه» ، كما انَّ تمتعه بنظام لغوي مائز، كل ذلك أعلى مكانته في النفوس، وأنزل الشعر عن مرتبته ، فعمّ نوره، وتسرّبت آياته، ومعانيه إلى وجدان الشعراء وافكارهم، فاصبح منبع لالهأمهم الشعري،

ومحوراً للأعمال الأدبية الرائعة ، اقتبس منه الشعراء، وتأثر به الأدباء، فاستلهموا منه ما يعينهم على تجسيد تجاربهم، والتعبير عن افكارهم، ورؤاهم، فهو المتفرد في قوة النظم، واتساع المعنى، الذي مدّ الشعراء بالمعاني والدلالات الايحائية المتعددة، فالشاعر عندما « يريد تأكيد أو تأطير حقيقة مقررة عن طريق الحجّة والبرهان، فإن النص الشعري لديه يتسع بانفتاحه، وفضائه للتفاعل مع المرجعية القرآنية، سواء أكان تفاعلا مع الآية أم جزءاً منها، وعلى الرغم من ان النص القرآني في هذه الحالة قد يجهز على النص الشعري فيذيبه، ويتلاشى أمام روعة اعجازه وبلاغته، فيغدو السياق منسجماً متناغما معبراً عن الفكرة التي يريد الشاعر إيصالها للآخرين « ، فالشاعر عند اقتباسه من القرآن الكريم يأتي ذلك محاولة لخلود نصّه الشعري، والوصول به إلى مراتب عليا، أيماناً منه بأن هذا النص القرآني خالدا عبر العصور، كلّ ذلك دفع بالشعراء إلى الوقوف عند مكامن القرآن الكريم، لينهلوا من منابعه ؛ إذْ اتضح « أثره في أشعارهم سواء في استلهام بعض معانيه، أو في اقتباسهم بعض أفكاره، وتضمينهم بعض نصوصه أو في لغتِهم واساليبهم وصورهم، ويمكن تتبع مظاهر التأثر بالنص القرآني في شعرهم من خلال الأفكار الدينية التي ترد فيه، أو في الصور القرآنية، أو في الألفاظ والعبارات، فضلا عن القصص القرآني « ، وهذا الأمر لا يبدو سهلا إلاّ إذا كان الشاعر مُلمًّا بثقافة قرآنية واسعة، وعالما بمدلولات النصوص، مدركا المعنى، مستشعرا بلاغة القرآن العالمية، واعجازه الربَّاني، واسلبه العظيم، ومن هذه المرجعية يعود الشاعر لربط جسور الحاضر بالماضي، وربط صور الواقع بصور التراث وتوحيد «التجربة للشاعر في الراهن التجربة الموضوعية الجماعية القادمة من الماضي، وحالاته وقوانينه وانقاذ النص الشعري من حالات الجفاف والجمود والتقوقع اللغوي، والاسلوبي، والتشكيلي حين يتفتح لقبول انواع عميقة من القوى الفكرية، والفنية والحضارية المتصارعة»، لذلك بجب تكون الثقافة القرآنية جزءا من الفن الشعري ذاته، تُعينه في التعبير عن تجربته بأبعادها الشعورية، فتجعل « الاسلوب الشعري أقرب إلى إفهام الناس وعقولهم وتُضفي عليه طابع السهولة والمرونة « ، مع الأخذ بالحسبان قدسيّة النص القرآني، وعدم الخروج به عمّا تعارف عليه، فالاقتباس أو التضمين القرآني يُزيد نص المبدع سواء أكان نثراً أو شعراً ؛ فخامة، وبلاغة، ويُسهم في اغناء تجربته ؛ ذلك أن محاكاة النص القرآني عبر بثِّ مضامينه في قصائده الشعرية، والتأثر ببلاغته العالية فتُضفي على شعره من العِبَر والمُثل والحكمة، وتزيده من الطاقات الدلالية والفكرية لما يحمله من تصور يتسق مع النص القرآني في مواطن عدّة تعمل على تعضيد نصوصه وتمنحها فاعلية في نفس المتلقي لأنه يقترب من روحيّة القرآن الكريم.

المبحث الثاني
أثر النص القرآني في ترسيخ المعاني الانسانية في النص الشعري الأُموي

لم يختلف شعراء العصر الأُموي عن غيرهم من شعراء العصور الأدبية المختلفة، فقد اتكأ الشعراء على الثقافة القرآنية في بناء نصوصهم الشعرية، ولاسيما تلك النصوص الشعرية التي أثرت بناء الشخصية الانسانية بكل المعاني التي جاء بها الاسلام، ووجدنا نصوصها ومراجعها في كتاب الله عز وجل، فكان المعين الذي أتكا عليه الشعراء لرسم الشخصية الانسانية المسلمة بكل ابعادها التي أقرها الاسلام وأوصى بها.

ان الثقافة القرآنية قد تمثلت في قدرة المبدع على استيعاب النص القرآني، وتداخله مع سياقه الثقافي وتماثله معه، وتحويله غلى فضائه الشعري الخاص، وإعادة توظيفه في نتاجية شعرية جديدة، فأصبحت اللغة القرآنية لغة شاعرة بامتياز بعد ان استوعبها النصّ الشعري وانتفع من مضامينها العالية استيعابا تاماً في نسقه الدلالي الخاص، ويبدو ان هذا الارتكاز الثقافي على آي القرآن الكريم ومعانيه ارتكاز محكوم عليه بمبدأ الاختيار المناسب، الذي احسن الشاعر استحضاره من أجل توسع فضاءات نصه الشعري، ومنحه عمقاً دلاليا ومعنويا يتجلى أثره في ذهن المتلقي، ويمكن ملاحظة ذلك في نصوص الشعراء، ومن بينهم الشاعر سراقة البارقي الذي توسع في معانيه الشعرية ليقف عند مبدأ انساني ليعلو في بنائه فيضع اللبنة في اختيار الصديق وحصافة الانتقاء ؛ لأن الصديق مرآة لصديقه ، فمن الصواب مجالسة الحلماء وترك السفهاء، وهي معاني ترمي إلى بناء الشخصية الانسانية، وفي الوقت ذاته مستوحاة من القرآن الكريم ؛ إذ يقول الشاعر :

مُـجَـالَـسَـةُ الـسـفِـيـهِ سَـفَـاهُ رَايٍ وَمِـــن حِـلـمٍ مُـجَـالَـسَـةُ الـحَـلـيـمِ
فَـــانَّـــكَ وَالـــقَـــرِيـــنَ مَـعـا ســـوَاءٌ كَـمَـا قُـــدَّ الأَدِيـــمُ عـلـى الادِيـــم

انَّ البساطة في نقل الصورة من الواقع بدت واضحة في تشبه الشاعر للعلاقة بين الأصدقاء، وفي معانيها الإسلامية في ذم السفهاء من الناس، وهذا ما ورد في قوله تعالى : {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِين}, كما اتكأ الشاعر في لفظة الحليم على قوله تعالى : {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}،

ويؤكد ذلك في قوله :

وتَـبـيَّـنَ الاقـيـالُ مـا احلامـهـمْ والـحِـلـمُ اردؤهُ الـمُـسام الـمُـغْـرَبُ
والـنـاسُ منـهـم مـنْ يُـعـاش بـرأيـهِ ومـعـذَّبٌ يـشـقـى بـه ويُـعـذَّبُ

إذ نجح الشاعر في تصوير احاسيسهُ من خلال رسمه لصفات انسانية ترمي إلى تربية انسانية في اختيار صديق يتصف بإنه حليم، وهو بهذا متأثرا بتيارين : أولهما : إسلامي، وثانيهما : جاهلي، بيد أنّ الأول أكثر ظهوراً من الآخر.

ومن الشواهد الشعرية التي ترمي إلى بناء الشخصية الانسانية وتربيتها تربية اسلامية مستوحاة من معانٍ قرآنية، ما دعا إليه الشاعر سراقة البارقي من القيم الرفيعة من العفة وصون النفس عن الفواحش ؛ لأنها لا تليق بالإنسان الفاضل الذي يجب ألاّ يكون ضعيف الإرادة خائر العزيمة، كما نهى عن التسرع عند الغضب، وأن يصمد المرء امام ضيق الحال، ولا يلبس ثوب الذل والخنوع، وعدم التبطر بنعمة الله والاندفاع وراء الملذات واللهو ؛ لأن هذا ممزق عرضك، مضيع شرفك، فصنْ نفسك كي يُصان عرضك، فيقول الشاعر في ذلك :

ودع الـفـواحـشَ مـا استـطـعـتَ لأهـلـهـا وإذا هممْتَ بأمـرٍ صـدقٍ فافعلِ
وإذا غـضـبـتَ فلا تـكـن انـشـوطـة مُسْـتِعتدا لفاحشـةٍ وتَبَسُّـلِ
وان افـتـقـرتَ فلا تـكـن متخشعا ترجو الـفـواضـلَ عند غـيرِ الـمُفضلِ
وإذا كُـفـيـتَ فكـن لـعرضـك صائنا وإذا اجئـتَ لبذلـهِ فتَبـذلِ

والفواحش لفظة مستوحاة من القرآن الكريم في قوله تعالى : {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}, ودعاء الشاعر إلى ان يكون أدب التعامل مع الآخرين بالحق والعدل، فلا تهن الذليل ولا ترضَ بذلِّ مولاك بل ابعد الذل عنه ليكون عزيزا، كما نجد الشاعر أكثر واقعية بزوال الحياة وإن الموت يعقبها لا محالة، فحكم الموت أمر لا مفر منه، ونهاية كل حي، فهو ينبه الشخصية الانسانية ويرشد وينصح ويوجه بقوله :

وكـنـا بـخـيـرٍ قـبـل قـتـلِ ابـن مخـنـفٍ وكـلُّ أمـرىءٍ يـومـا لـبـعـضِ الـمـذاهـبِ
نُـرجّـي الـخـلـود بـعـدهـم وتـعـوقـنـا عـوائـقُ مـوتٍ أو قـراعَ الكتائـب

فالمعاني التي جاء بها الشاعر ودعا إلى تربية النفس الانسانية عليها مستقاة من وحي القرآن الكريم، فهي إشارة إلى قوله تعالى : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}.

وهكذا اجتمعت للشاعر مجموعة عوامل هيأته لإجادة المعاني التي ابتغاها في التوجيه، فكان القرآن والثقافة الاسلامية اولها ثم تجربته في الحياة، لذا عمد إلى المعاني الدينية بأسلوب النصح والارشاد لبناء الشخصية الانسانية.

ونقف عند الشاعر الاموي المتوكل الليثي وهو يتلمس ثقافته الدينية وما اكتنزته من آيات القرآن الكريم في بناء صفات الشخصية الانسانية، ومنها صفة الوفاء وحفظ الأمانة في قوله :

أرعى الامانةَ للأمينِ بحقها فيبينُ عفا سرُهُ مكتومُ
واشدُّ للمولى المدفّع ركنه شفقا من التعجيزِ وهو مليمُ

فقد انبثق النص عن ثقافة دينية تنضوي تحت ظلال التعبير القرآني، وضمن حدود دائرة فيض آياته الكريمة التي اختص الأداء القرآني بوصفها في قوله تعالى :) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (, فضلا عن حفظ الأمانة يفخر بقدرته على مساعدة المُعدمين والمحتاجين من أصحابه وجيرانه فلا يتركهم جياعا، وهي من سمات وصفات الشخصية الانسانية التي دعاء القرآن الكريم إلى تحقيقها بين طبقات المجتمع الاسلامي، ولكن الشاعر في عطائه لهم يكون على حذر منه فلا يتفاخر بأنه قدم لهم العون فيلومه بعد ذلك هذا الفقير.

وانعكست آثار الثقافة القرآنية ومناشطها الدلالية في وصف الشاعر المتوكل الليثي لحاله، ومشاعره، ورأفه بالفقراء في قوله :

أنّي أمرؤ ليس الخنا من شيمتي وإذا نطقت نطقت غير عيال
من يبلني بالودّ يوما اجزه بالفرض مثل مثاله بمثالي

فقد استضاف في بناء نسيج نصه الابداعي إشارة إلى قوله تعالى : {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}, فالفحش ليس من الخلال التي يتحلّى بها الانسان المسلم (الشاعر) لكن المعروف والقول الحسن والفعال النبيلة هي من شمائله، ومنطقه جميل ولا يعجز عن ان يتحدث بلباقة حديثا عذبا لا يشوبه سوء، وهو رجل يقابل الإحسان بالإحسان والود بالود، ولا يقابل الحسنة بالسيئة فمن يأته ليختبر إحسانه فإنه سيجزيه بالإحسان ويبدو تأثير القيم القرآنية واضحاً في شعر المتوكل الليثي فالثقافة القرآنية تحركت وتفاعلت ضمن حدودها المعرفية، لتُسهم في التعبير عن كوامنه وتباريحه، وامتصاصهما الإيجابي للنص القرآني ومعانيه، وتماهيهما معه وإعادة نتاج دلالته في عملية الابداع الفني.

ويمكن ملاحظة خصوصية التركيب الدلالي والجمالي الذي يتمتع به النص القرآني عند استحضاره في بناء الخلق الابداعي، والدور الذي تؤديه تلك الخصوصية في نفس المتلقي، وهذا

ما نجده في قول الشاعر المتوكل الليثي :

لا تَتَّبِع سُبُلَ السفاهَةِ وَالخَنا انَّ السفيهَ معنَفٌ مَشتومُ
وَاقِم لِمَن صافيتَ وَجهاً واحِدا وَخَليقَةٌ انَّ الكَريمَ قَؤومُ
لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتأتيَ مِثلَهُ عارٌ عَلَيكَ إذا فعلتَ عَظيمُ

فقد استحضر الشاعر في بيانه لصفات الشخصية الانسانية، قوله تعالى : {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}. فالشاعر استثمر النص القرآني في بناء النص المنتج، وإيضاح التجربة الشعورية، فلابدّ للإنسان أن يتجنب كل فعل شائن ينهى الناس عنه ويقوم هو بتأديته والقيام به، فقد حمل الأبيات الفاظ قرآنية واضحة، فلفظة (أتأمرون) جاءت الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجُّب من حالهم، والبر سعة الخير والمعروف، ومنه البر لسعته، ويتناول كل خير، وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقارب وغيرهم باتباع النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ولا يتبعونه، وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون، وإذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها ، فمن المستهجن ان ينهى الناس عن عمل اشياء ويحرم على الاخرين فعلها ثم يحلها لنفسه وشتان ما بين القول والفعل. فقد استمد الشاعر معنى نصه من الاشارات القرآنية في النهي عن الخلق السيء والاتيان بمثله، وبذلك نلمس فاعلية هذه الإشارات إلى النصوص القرآنية التي كشفت لنا عن قدرة المبدع في تطويع ثقافته القرآنية بُغية رفد تجربته الذاتية واستثمار لطاقته المخزونة التي تركت بصماتها على اديم النص الشعري.

ويرتبط بمعاني التربية الاسلامية للشخصية الانسانية قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مبدأ ورد في القرآن الكريم في مواضع عده منها قوله تعالى : {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. وهذا المبدأ من التربية وقف عنده الشعراء ونادوا به ووجهوا المتلقي له بصورة مباشرة وغير مباشرة منها ما جاء في قول الشاعر عدي ن الرقاع في قوله :

الآمـــرونَ بتقوى اللّٰـــه أمَّتهُمْ والكائنونَ على المعروفِ أعوانا

فالشاعر يوجه لهذا المبدأ من التربية من خلال غرض المديح، فهو يجعل الممدوح أهل التقوى، فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وغرضه بذلك ترسيخ وتثبت تلك القيم التروية في شخصية المتلقي.

ويستمر الشعراء في استثمار غرض المديح لنشر مبادئ التربية الاسلامية للشخصية الانسانية، ومنها مبدأ الحكم بالعدل، ولاسيما أولى الأمر والمسؤولين ممن لديهم وظيفة عامة تخص الحكم

في أمور الرعية، فنجد الشاعر كثير عزة يقف عند هذا المبدأ في قوله :

فما بينَ شرقِ الأرضِ والغربِ كلَّها مناد ٍ ينادي من فَصيحٍ وأعَجَمِ
يقولُ أميرَ المؤمنين ظلمتني بأخذٍ لدينارٍ، ولا أخذِ دِرْهَمِ
ولا بسطِ كفٍ لامرئ غيرِ مجرِمٍ ولا السَّفْكِ مِنهُ ظالماً مِلءَ مِحْجَمِ

يصور الشاعر الممدوح بصورة تظهر مبدأ التربية الاسلامية عن طريق إظهار أهمية الحكم بالعدل، وهو معنى مأخوذ من القرآن الكريم، فقد ورد في الخطاب القرآني قوله تعالى :) وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (، وكذلك قوله تعالى :) إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ (، فقد صور الشاعر شخصية الممدوح بصورة موحية ومعبرة عن القيمة التربوية لمبدأ العدل، حين نفى أن يكون هناك أحد يشكو ظلم الخليفة في مشارق الأرض ومغارها، ولا أحد ينادي بالمطالبة حق ضائع له، ولا يوجد برئ يشكو من معاقبته بغير حق.

ويقف الفرزدق عند النص القرآني ليستثمر منه معنى تربوياً يغرس في الشخصية الانسانية من أجل التربية الصالحة القائمة على اسس اسلامية، فنجد في قوله :

حَلَفتُ ومن يأثم فإنّ يمينه إذا أثمت لاقيه منها عذابها

فالشاعر في البيت المتقدم يشير إلى مبدأ من مبادئ تربية الشخصية الانسانية، وهي عدم الحلف الكاذب أو الايمين الكاذب، لأن الحلف من المعاني التي عرفها العربي من القدم، ولذا اراد الشاعر توجيه المتلقي إلى ضرورة الالتزام بالأيمين الصادق لأن الأيمين الكاذب يؤدي بصاحبه إلى العقاب والعذاب من قبل الله تعالى، ولهذا استعان الشاعر بالمعنى الواد في القرآن الكريم في قوله تعالى : {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ}.

ويلتقط الشاعر أبو دهبل الجمحي ما ناءت به كنوز ثقافته المعرفية من مرجعيات قرآنية ذات دلالات تعبيرية وإيحائية، ليبثها في بنية خطابة الشعري في ترسيخ سمات الشخصية الانسانية الكامنة في شخصية الإمام الحسين بن علي وأصحابه (عليهم السلام) في إطار قصيدة مرثية يشوبها الألم والحزن، جانحاً إلى الدقّة في تصوير ذلك في قوله :

تَبِيتُ سُكارَى من أميّة نُوَّما وبالطَّفِ قتلى ما يَنأم حَميمُها
وَما ضيع الإسلامَ إلّا عُصابَةٌ تَأَمَّرَ نَوْكاها وَدأمَ نَعيمُها
وتضحى كرأم من ذؤابة هاشم يحكم فيها كيف شاء لئيمها
فَصارَت قَناةُ الدينِ في كَفِّ ظالِمٍ إذا اِعوَجَّ مِنها جانِبٌ لا يُقيمُها

فجودن من سحب الاباء بوارقا بشيم الفنا قبل الفنا من يشيمها
فما صعرت خدا لأحراز عزّة إذا كان فيها ساعة ما يضيمها
أولئك ال اللّٰه ال محمد كرأم تحدت ما حداها كريمها

فقد التقط الشاعر الصورة التي أرادها الله والتي جاءت على لسان لقمان الحكيم في وصيته لابنه في قوله تعالى : {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}, التي صوّر الله سبحانه وتعالى فيها حالة الناس في التكبر، يوم الفزع الأكبر، إذ ترى الناس فيه سكارى وقد ذُهلت عقولهم لشدة ما يمرون به، فهم يضطرون اضطراب السكران من الشراب، فسكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق، فعبّر عن تواضع الإمام الحسين (عليه السلام) واصحابه، والتزامهم بأوامر الله ونواهيه فلم يصعّروا خداً ولم يمشوا في الأرض مرحاً، ولا تمش لأجل المرح والأشر، أي :لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك، لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي، ونحوه قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}, والمختال : مقابل للماشي مرحا، وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا، وقد استمد الشاعر من الصورة القرآنية كلا المعنيين، إذ بيّن مكانة وعظمة الإمام الحسين وأصحابه (عليهم السلام) وحالهم في يوم الطّف وهم لا يضطرون في تطبيق حدود الله والالتزام بها، إذ نجده ينزع إلى تأطير صوره بأطر دينية من خلال توظيف المعاني القرآنية التي تطغي على خزين الشاعر اللُغوي، الاّ ان هذا التواضع الذي عبر عنه الشاعر لا يعني الخضوع أو قبول الذل أو الانكسار، فالصورة التي أرادها الشاعر اصبحت نقطة تعالق نصي بين ثقافته القرآنية وبين التواضع والالتزام بحدود الله، وبين عدم الرهبة أو الخوف والذل من الطرف الآخر.

ويقف الشاعر عند احدى القيم التربوية التي سعى الشاعر الاموي إلى نشرها بين الناس من خلال اغراضه الشعرية، وهي قيمة التقوى التي ارتبطت بالعفة ومتفرعة عنها، فنجد الشاعر في قوله :

حنوتَ علينا حَنوةَ الوالد الذي بنى لبنيهِ ثم وَطَا فَمَهَّدا
بطينُ من التقوى خميصُ من الخَنَا يُحِبُّ لِذي العرشِ التَّقَى والتَّودُّدَا

يحرص الشاعر في نصه على ترسيخ القيم التربوية وتثبتها في نفس المتلقي، ولهذا يعمد إلى تشكيل صورة للممدوح تعزز قيمة التقوى، فهو يحرص على قومه واصحابه رؤوفا بهم لدرجة جعله بمنزلة الأب الرؤوف الشفيق على أبنائه يجنبهم المكروه والأذى، وما يدفعه لذلك هو مبدأ

التقوى، وهو مبدأ تربوي ورد في القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى: {وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ}, فهو يتقي الله في كل أمور حياته لذلك يمنعه من الخطأ.

ونقف عند شاعر البلاط الأموي الأخطل التغلبي في قوله :

حُشدٌ عَلى الحَقِّ عَيّا فو الخَنا أُنُفٌ إذا أَلَمَّت بِهِم مَكروهَةٌ صَبَرو
وَإِن تَدَجَّت عَلى الآفاقِ مُظلِمَةٌ كانَ لَهُم مَخرَجٌ مِنها وَمُعتَصَرُ
أَعطاهُمُ اللَهُ جَدّاً يُنصَرونَ بِهِ لا جَدَّ إِلّا صَغيرٌ بَعدُ مُحتَقَرُ
لَم يَأشَروا فيهِ إِذ كانوا مَوالِيَهُ وَلَو يَكونُ لِقَومٍ غَيرِهِم أَشِروا
شُمسُ العَداوَةِ حَتّى يُستقادَ لَهُم وَأَعظَمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَروا

فقد أتكأ الشاعر في الأبيات المتتابعة على الآيات القرآنية المباركة في تجسيد صفات الشخصية الانسانية، ومنها قوله تعالى : {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}, وقوله تعالى : {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ}, وقوله تعالى : {نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ}, وقوله تعالى : {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}, وقوله تعالى : {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}, فقد وجد الشاعر في آيات القرآن الكريم دستورا وشريعة للحياة موظفا بذلك المعاني القرآنية أجمل توظيف لبيان الصفات الإنسانية التي تساعد على بناء شخصية سلمية قويمة على الرغم من نصرانية الشاعر، فإن المتتبع لديوانه يجده على معرفة واسعة بالقرآن الكريم وأحكامه وقصصه.

وهكذا بدت الثقافة القرآنية سواء أكانت اقتباساً مباشراً أم إشارياً قد انعكست آثارها ومعطياتها المعرفية على نصوصهم الشعرية بصورة عامة، فاستلهموا النصوص القرآنية المقدسة بما يمنح نتاجهم الشعري فضاءات أوسع، ويعطيه دلالة تتساوق وتجاربهم الشعورية، بما وافرته من معين نفسي يتلاءم وحالتهم الذاتية.

ونجد من الشعراء من وقف عند بعض الخصال والسمات الرفيعة التي تؤكد التربية القرآنية للشخصية الانسانية ومنهم الشاعر الفرزدق في قوله :

من يبلغ الخنزير عني رسالة نعيم بن صفوان خليع بني سعد
فما أنت القاري فترجى قراته ولا أنت إذ لم تقرَ بالفاسق الجلد

فالشاعر في معرض هجائه للشخصية (نعيم بن صفوان) يوجه المتلقي لخصلة الكرم، وهي خصلة نفسية لكنها في الوقت نفسه تعتمد على التربية السلمية للشخصية الانسانية، ولهذا نجد

الشاعر يربطها بلفظة اسلامية قرآنية وهي (الفسوق) وقد وردت في القرآن الكريم صيغة الجمع في قوله تعالى : {فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}, فهو يرى أن من لا يكرم ضيفه يكون فاسقا بحسب رأي الشاعر وثقافته، وكأنه خرج من الدين ولم يتبع تعاليمه و إرشاداته القرآنية ؛ لأن الإسلام يكبر خصلة الكرم ويحث عليها، وقد اقتبس الشاعر هذه اللفظة من القرآن وضمنها نصه.

وقد لا يقتصر الأمر فيما يتعلق بالصفات والسمات التربوية التي نشرها الشعراء في مجتمعاتهم بين الناس من أجل تربية الشخصية الانسانية، بل نجد من الشعراء من وقف عند بعض الاركان الاسلامية محاولاً تنبه المتلقي إلى أهميتها ودورها في الحياة، ومن هؤلاء الشعراء الفرزدق في قوله :

وكم نذرت من صوم شهر وحجة نساء تميم ان أتاها يزيدها

فلو نظرنا للبيت الشعري نجد الشاعر وقف عند ركن اساسي من اركان العبادة وهو : الصوم والحج، والأثنان وردا في القرآن الكريم في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}, وربط ذلك الركن تقليد اسلامي ورد في الكتاب الكريم، وهي ظاهرة النذر التي وردت في قوله تعالى : {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}, فإشارة الشاعر إلى النذر، والصيام هي نوع من التوجيه والتربية للمتلقي بمعاني وقيم اسلامية في القرآن الكريم وحث عليها الاسلام، وهي كفية في انشاء شخصية اسلامية قوية متسامحة مع نفسها ومع الطرف الآخر. والمتتبع لشعراء العصر الأموي يجد الكثير من الاركان الاسلامية التي تخص العبادة قد وردت في اشعارهم بكثرة، ومنهم الفرزدق في قوله :

فلم يبقَ إلا من يؤدي زكاته إلينا ومعط جزية حين حلت

فقد أورد الشاعر ركنا اسلاميا مهما، وهو الزكاة وربطها بمصطلح الجزية والأثنان مما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ}, وكذلك قوله تعالى : {حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}, فالشاعر وان كان يريد أن يكسب نصه سمة الواقعية والتأثير، إلا انه في الوقت ذاته اكسبه صفة التعليم التربوي على المدى الطويل عن طريق ترسيخ تلك المعاني التربوية للشخصية الانسانية.

فالثقافة القرآنية كانت مصدراً سخياً من مصادر الإلهام والخلق الشعريين عند شعراء العصر الاموي، تتفجر عن طريقها القدرة التصويرية والتركيبية في استدعاء لغة القرآن الكريم وآياته، مع المحافظة على قدسية النص القرآني والحرص على منح المتلقي آفاقاً أكثر رحابة واتساعاً من الناحية الدلالية، والموضوعية في التفاعل والتواصل مع تجاربهم الذاتية والشعورية.

نتائج البحث :

هذه بإيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها عبر هذا البحث.

- يمثل القرآن الكريم مصدراً مهما للشعراء من خلال الأفكار الدينية التي ترد فيه، أو في الصور القرآنية، أو في الألفاظ والعبارات التي علمت على ترسيخ الصفات الايجابية في الشخصية الانسانية.

- تجلت براعة الشعراء في التعامل مع النص القرآني من خلال التوظيف له في نصوصهم الشعرية، لما للنص القرآني من قداسة ومكانة عالية عند من تناوله من الشعراء، ومن خلال انتاج صورة تقوم على ثنائية التناقض بين الصفات الإنسانية الايجابية والصفات الإنسانية السلبية.

- ظهر أثر القرآن الكريم واضحاً جلياً في نصوص شعراء العصر الاموي، فقد اقاموا علاقات تناصية مع القرآن الكريم عن طريق الاقتباس غير المباشر لمعنى الآية وصياغتها بلغتهم وذلك لما لآيات القرآن الكريم من أثر في نفس المتلقي.

- شكلت الثقافة القرآنية لدى شعراء العصر الاموي ميدانا واسعا رحباً في الاستدعاء فانعكست آثارها ومعطياتها المعرفية على بناء نصوصهم الشعرية بصورة عامة، فاستلهموا النصوص القرآنية المقدّسة بما يمنح نتاجهم الشعري فضاءات أوسع، ويعطيه دلالة تتساوق وتجاربهم الشعورية، بما وافرته من معين نفسي يتلاءم وحالتهم الذاتية، مع المحافظة على قداسة النص القرآني والحرص على منح المتلقي آفاقاً أكثر رحابة واتساعاً من الناحية الدلالية، والموضوعيّة في التفاعل والتواصل مع تجاربهم الذاتية والشعوريّة.

- ترسيخ القيم الاخلاقية والدينية كالصدق والأمانة والعدالة مما أثر بشكل مباشر في شخصياتهم.

- دور الثقافة القرآنية في تشكيل الهوية الثقافية للشاعر.

- تأثير القيم القرآنية على تصوير المرأ في الشعر الأموي.

- إن الثقافة القرآنية لعبت دوراً حاسماً في بناء الشخصية وأن تأثير القرآن لم يقتصر على الجوانب الأخلاقية بل امتد ليشمل اللغة والاسوب والموضوعات الشعرية.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.
• اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، قحطان رشيد التميمي، دار المسيرة، بيروت، (د, ت).
• أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
• أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، د. ابتسام مرهون الصفار، دار الرسالة للطباعة، مطبعة اليرموك، بغداد، ط١، ١٩٧٤م.
• أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، تقديم : محمد خلف الله احمد، دار المعارف، مصر، (د.ت).
• استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي زايد عشري، الشركة العامة للنشر والتوزيع، دار الفكر العربي، (د. ت).
• أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، مطبعة ابن زيدون, دمشق، ط١، ١٩٣٥م.
• الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، عبد الهادي الفكيكي، دار النمير، دمشق، سوريا، (د.ت).
• التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعرف، مصر، ط٣، ١٩٥٩م.
• التناص في شعر أبي العلاء المعري، د. إبراهيم مصطفى محمد الدهون، عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن، ٢٠١١م.
• توظيف المرجعيات الثقافية في شعر محمد مردان، د. محمد جواد علي، منشورات ضفاف، دار الامان، ط١، الرباط، ٢٠٠٣م.
• ديوان أبي دهبل الجمحي، رواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق : عبد العظيم عبد المحسن ,مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ط١، ١٣٩٢ / ١٩٧٢م.
• ديوان الفرزدق، تقديم وشرح : صلاح الديم الهواري، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٧ م.
• ديوان سراقة البارقي، تحقيق : د. حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر،

ط١، ٢٠٠١م.

• ديوان عدي بن الرقاع العاملي، تحقيق : د. نوري حمود القيسي، ود. حاتم الضامن، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

• ديوان كثير عزة، جمع وتحقيق : د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

• شرح ديوان الأخطل التغلبي، إيليا سليم الحاوي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

• شعر المتوكل الليثي، د. يحيى الجبوري، منشورات مكتبة الاندلس، بغداد.

• شعر عبد الله بن معاوية، جمع : عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥م.

• الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط١٠، ١٩٧٨م.

• الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م.

• المرجعيات القرآنية في شعر حسان بن ثابت وأثرها في بناء النص الشعري، د. إبراهيم الدهون ضمن كتاب المرجعيات في النقد والأدب واللغة، الجزء الأول، إشراف وتحرير : د. ماجدة الجعافرة.

الرسائل والأطاريح:

• أثر القرآن الكريم في الشعر الاندلسي خلال عصري دولة الطوائف ودولة المرابطين، هادي طال محسن، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣م.

• التناص في الشعر الأموي، بدران عبد الحسن محمود البياتي، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٦م.

• الحكمة في الشعر الاموي، رسالة ماجستير، محمد حسين إبراهيم، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٧م.

- مواقع التواصل الاجتماعي : الموقع : https://telegram.me/buratha.